المحاضرة الرابعة : مراحل الدعوة الاسلامية وموقف المشركين منها :

أولاً : مراحل الدعوة الاسلامية :

نزل الأمين جبرئيل مبشّراً النبي الأكرم (ص واله) بالنبوّة والرسالة ، وألقى على عاتقه مقاليد مهامّها هداية الأُمّة ، التي يصوّرها قوله سبحانه : **((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا))** ، وقوله سبحانه : **((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ))** ، وأيّ مسؤولية أثقل من مسؤولية هداية الأُمّة الغارقة في ظلمات الجهل وأوحال عبادة الأصنام والأوثان ، المنغمسة في الدنيا ، المعرضة عن الآخرة ، فقام الرسول مؤدّياً رسالته مستضيئاً بهدى الوحي قد قطعت رسالته مراحل ثلاث حتّى تكلّلت بالنجاح وبلغت الغاية المنشودة ، و إليك تبيين هذه المراحل التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع متفرّقة.

المرحلة الاولى : مرحلة دعوة الاقربين :

أمر الله سبحانه وتعالى بدعوة الأقربين ، بقوله : **((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ))**.

إنّ المعاجلة والمسارعة لدعوة العشيرة الأقربين قبل البدء بالإعلان الرسمي للدعوة العامّة يمكن أن يكون فيها سرّ إجتماعي وتوضيحه بما يلي:

أوّلاً : إنّ النبي الأكرم كان مطّلعاً على أنّ قومه سوف يجابهونه بالعنف والشدّة ويتآمرون للقضاء عليه قبل تمكّنه من تحقيق هدفه ، فصيانة الدعوة من مكائد الأعداء مرهونة بوجود قوّة داخلية تحصّنها من غوائلهم ولا يمكن تصوّرها إلّا في قومه وعشيرته من آل هاشم.

وثانياً : إنّ إنقياد قومه لدعوته وعشيرته لدعوته لدليل واضح على قداسته ونزاهته وصدق كلامه وانّهم ما رأوا منه إلا الصدق والصلاح طيلة أربعين سنة ، فأجابوا دعوته وصدّقوا كلامه، فإيمان البطانة وقبولهم دعوته دليل واضح على صفاء سريرته ، فلأجل ذلك بدأ بدعوة العشيرة ، وهذا بطبيعة الحال يكون مؤثّراً في إعداد الأرضية الصالحة لقبول المرحلة الأُخرى.

وقد نقل المفسّرون وأهل السير في تفسير قوله سبحانه : **((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))** ، كيفيّة دعوة الأُسرة ، فعن الامام عليّ (عليه السلام) قال: **((لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله فقال لي : يا علي ! إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً و عرفت أنّي متى أبدأهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره ، فصمّمت عليه حتى جاءني جبرئيل ، فقال : يا محمد إنّك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك ، فاصنع**

لنا صـاعاً من طعام واجعل عليه رجل شـاة واملأ لنا عِسّـاً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب ، حتى أكلّمهم و أُبلّغهم ما أُمرت به ، ففعلت ما أمرني به ثمّ دعوتهم له و هم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصـــونـه ، فيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعبّاس وأبولهب ، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صـنعت لهم ، فجئت به ، فلمّا وضـعته تناول رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) حذية من اللحم فشـقّها بأسـنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصـفحة ثم قال : خذوا باسـم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشـيء حاجة وما منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم ، ثمّ قال : اسـق القوم ، فجئتهم بذلك العس ، فشـربوا منه حتى رووا منه جميعاً ، و أيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشـرب مثله ، فلمّا أراد رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يكلّمهم بدره أبولهب إلى الكلام فقال : لقد سحركم صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله) صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فقال في الغد : يا علي إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم ، فعد لنا بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم ــ إلى أن قال ــ : ففعلت ، ثمّ جمعتهم ثمّ دعاني بالطعام فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشـيء حاجة ، ثمّ قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، ثمّ تكلّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال : يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به ، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإنّي لأحدثهم سنّاً .... أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه ؟ فأخذ برقبتي ثمّ قال : إنّ هذا أخي و وصـــيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع)).

هذا هو النصّ الذي رواه المؤرخون حول حادثة بدء الدعوة ، إنّ هذا الحديث يستفاد منه أُمور عن تاريخ بدء الدعوة نشير إليها بالنقاط التالية :

١- إنّ الخلافة تتامشّى مع النبوّة جنباً إلى جنب وإنّهما لايفترقان أبداً لأنّ النبيّ يوم صدع بالرسالة أعلن خلافة عليّ (عليه السلام).

٢- إنّ عليّاً في ذاك اليوم وإن كان صـغيراً لايتجاوز عمره الحلم لكنّه كان في القوّة والمقدرة على حدّ قام بتضـييف مجموعة كبيرة تربو على أربعين نفراً فقد صـنع لهم طعاماً ودعاهم إلى الضـيافة ، وهذا العمل كما يكشـف عن مرحلة من النضـوج البدني يكشـف عن تفتّح عقله و شـعوره حيث قام بأمر لايقوم بأعبائه إلّا الرجال الكبار.

٣- إنّ بعض الرواة نقلوا القصّة كما مرّ ولكنّهم جنوا على الحقيقة ، فبعضهم ذكروا القصة و لكنّهم عندما وصلوا إلى قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي حرّفوه وجعلوا مكانه : ((فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا)) .

المرحلة الثانية : المرحلة التنظيمية للدعوة :

وهي مرحلة إعداد الكوادر التي حملت عبء تبليغ الاسلام هلى عاتقها ، فجل من دخل الاسلام في هذه الفترة (٤٠) مسلماً فقط ، فتعلّموا الفرائض والسنن وكانوا يذهبون إلى شعاب مكّة فيقيمون الفرائض فيها ، وهذه الثلّة القليلة الّتي تشرّفت باعتناق الإسلام ، هم الذين يعبّر عنهم القرآن الكريم بقوله : ((**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**)) ، فالذي يميز هذه المرحلة من الدعوة ان رسول الله (ص واله) كان يدعو الناس فرادى لا جماعات لأن الظروف كانت غير آمنة ، فكان النبي الأكرم يعرض دعوته على من يتفرّس فيه علائم قبول الإسلام ولذلك لمّا هبط من غار حراء عرضه على زوجته خديجة ومن الجدير بالذكر ان ابن عمّه الامام علي (ع) كان مع النبي (ص واله) في الغار فكان أول من أسلم ، وقد تمكّن الإسلام بذلك في قلوب عدّة سجّلت أسماؤهم في التاريخ مثل زيد بن حارثة وعثمان بن مظعون وقدامة بن مظعون وغيرهم. يقول ابن هشام في تفسير قوله : ((**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**)) ، أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته ، من النبوّة فحدّث أي اذكرها ، فادع إليها ، فجعل رسول الله يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوّة إلى من يطمئنّ إليه .

المرحلة الثالثة : مرحلة الاعلان الرسمي للدعوة النبوية

كان للدعوتين السابقتين دور خاص في استقطاب لفيف من الناس واستمالة قلوب طائفة منهم إلى الإسلام ، وقد أوجد هذا الإقبال أرضيةً صالحةً لمرحلة ثالثة من الدعوة وهي التي يصحّ وصفها بمرحلة الاعلان الرسمي للدعوة ، وكانت تهدف إلى توسيع نطاقها ، فقام النبي الأكرم بها امتثالاً لقوله تعالى : ((**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**)) ، وقد حكى أصحاب السير خطبة النبي في بدء تلك المرحلة ، قالوا:

١- دعا النبي جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال : إن أخبرتكم انّ خيلاً تخرج من صفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذّبوني ؟ قالوا : و الله ما جرّبنا عليك كذباً ، فقال : ((**يا**

معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فإنّي لاأغني عنكم من الله شيئاً إنّي لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد)) .

٢- وقوله (ص واله) : ((**إنّي رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضرّ، ولا تخلق ولا ترزق ولا تُحيي ولا تُميت**)) .

قراءة تحليلية لمرحلة الدعوة السرية :

من الأحداث التي جرى اتفاق المسلمين على صحتها هو أتباع النبي محمد (صلى الله عليه واله) أسلوب الدعوة للإسلام سراً و نجاحه في كتمان أمره عن المشركين مدة ثلاث سنوات من عمر لدعوة أو يزيد فيما عرف بمرحلة "الدعوة السرية".

رغم أن هذا الاتفاق :

- خلاف ما أيده نص القران الكريم و كتب الحديث النبوي الشريف .
- فكيف اتسق ذلك للمؤرخين وبات من المسلمات ؟!!
- وما هي مبررات التسليم بالرأي القائل بسرية الدعوة في مجتمع قبلي متداخل لا يحتمل فيه قبول أمكانية نجاح هذا الأسلوب و لفترة دامت سنوات؟!
- وهل كان أهل مكة يجهلون أمر نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قبل بعثته ليخفيها عنهم بعدها ؟
- وان سلمنا بكتمانه الدعوة لضعف جانبه وقوة بأس المشركين فما الأسباب التي دعته لإظهارها ولم يزل (صلى الله عليه واله وسلم) وصحبه في عداد المستضعفين.

ولما أثرناه من تساؤلات حول موضوع سرية الدعوة أصبح أمر التشكيك بوجودها فعلاً أمراً وارد و يتأتى ذلك من عدة جوانب:

أولها : المجتمع المكي .

كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في مجتمع مكة أسوة بالمجتمع العربي قبل الإسلام و هي جماعة من الناس ينتمون الى اصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة و تربطهم رابطة العصبية للأهل و العشيرة ، و هم بذلك يعدون مهما بلغ تعدادهم السكاني مجتمعاً ضيقاً يمتاز بإطلاع بعضهم على أحوال بعض لا سيما و أنهم أسسوا مجالساً و نوادي لهذا الغرض و كان أبو

جهل يتفاخر بكون ناديه أكثر تلك النوادي ريادة بقوله : "فو الله لقد علمت ما بها . أي مكة . أحدا أكثر نادياً مني" فأنزل الله سبحانه و تعالى قوله : "فليدع ناديه "اي فليدع أهل ناديه و مجلسه يعني عشيرته.

فهل كان غائباً عن هذه المجالس ذكر نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) رغم ظهور علاماتها و ثبوتها في شخصه الكريم ؟!!

فهل نسي أهل مكة المعجزات التي صحبت الولادة المباركة لنبي الرحمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) المشفوعة بالآيات البينات و المعاجز الباهرات !!! وان نسوها او تناسوها ذكرتهم بها سيرته العطرة فهو لم يسجد لصنم قط كما و اتفقت معظم الروايات على أن محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كان قبل أن يوحى اليه يتحنث في غار حراء فيبقى فيه أمداً منقطعاً للتأمل والعبادة و مازال كذلك حتى نزل عليه الوحي و هو ابن أربعين سنة.

أذن فهل كانت نبوة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مع ما ذكرناه سراً يمكن لأهل مكة ان يجهلوه أو يتجاهلوه و هو يعيش بين ظهرانيهم ؟!!

ثانيهما : التعارض مع القرآن الكريم

يمكن أن نلمس تعارضاً بين أسلوب الدعوة السرية و ما جاء به القران الكريم من وجهين :

الوجهة الأولى : انه لم يكن في سنة الأولين من الأنبياء و الرسل ما يشير الى اعتمادهم أسلوب الدعوة لدين الله سراً بل كانت المواجهة و الاجهار بالدعوة سبباً لابتلائهم بشتى أنواع العذاب و التهجير و التحريق ، فلم يكن خيار الكتمان ضمن أولويات الدعاة بل هو مرحلة قد تأتي بعد مرحلة الاجهار يتجسد ذلك بقوله سبحانه و تعالى على لسان النبي نوح (عليه السلام) : " **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا و إني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم و أستغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكبارا ثم أني دعوتهم جهارا** " وكذلك الحال مع نبي الله موسى (عليه السلام) حين أمره الله سبحانه و تعالى بدعوة فرعون للتوحيد و عبادة الله الواحد الأحد بقوله : " **اذهب أنت و أخوك بأياتي و لاتنيا في ذكري أذهب الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى** " . و كذلك سائر الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ..

الوجهــة الثانيــة : لـم نجـد فـي القـران الكـريم ولـو آيـة واحـدة تـأمر النبـي محمـد (صـلى اللـه عليـه والـه وسـلم) أو تحثـه علـى التـزام السـرية أو الكتمـان فـي الـدعوة الـى توحيـد اللـه و عبادتـه بـل العكـس مـن ذلـك نجـد أول مـا نـزل بـه الـوحي فعـل أمـر مضـمونه الاجهـار والإفصـاح و تـلاوة أوامـره و نواهيـه ثوابـه و عقابـه فـي قولـه تعـالى : " **اقـرأ باسـم ربـك الـذي خلـق** "، و بعـد التأمـل فـي الآيـة الكريمـة يتوجـب علينـا بيـان المعنـى الحقيقـي (للقـراءة) وتحديـد ماهيـة المطلـوب قراءتـه هـل هـو مـدوناً أم لا ؟ فـأن لـم يكـن مـدوناً لا يصـح عليـه معنـى القـراءة بـالمفهوم المتعـارف عليـه المـرتبط بالتـدوين ، بـل هـو إيضـاح قدمـه اللـه سـبحانه وتعـالى لنبيـه (صـلى اللـه عليـه والـه وسـلم) عـن طبيعـة المهمـة التـي كلـف بهـا والـدور المنـاط بـه و هـو التبليـغ ، **فـ (أقـرأ باسـم ربـك ..) هنـا تعنـي (بلـغ عـن اللـه)** و مـن خـلال هـذا التأويـل نبتعـد عـن العديـد مـن الإشـكاليات التـي أثيـرت حـول كـون النبـي (صـلى اللـه عليـه واله وسلم) أمياً يجهل القراءة والكتابة .

يتبـادر الـى الأذهـان تسـاؤل جديـد وهـو هـل اسـتجاب نبـي الرحمـة (صـلى اللـه عليـه والـه وسـلم) لأمـر اللـه سـبحانه وتعـالى و الـذي أكدتـه الآيـة الكريمـة : " يـا أيهـا المـدثر قـم فأنـذر و ربـك فكبـر " بـدعوة النـاس لنبـذ عبـادة الأصـنام أم انـه تـردد واختـار أسـلوب الـدعوة سـراً خوفـاً مـن بطـش قـريش و قوتهم ؟

و ممـا يبعـث علـى العجـب و الاسـتغراب هـو أن اغلـب السـور التـي نزلـت فـي الفتـرة التـي يطلـق عليهـا مرحلـة الـدعوة السـرية كانـت عبـارة عـن خطـاب موجـه للمشـركين و مجـادلتهم فـي عقيـدتهم و يمكـن ان نلحـظ ذلـك واضـحاً فـي كـل مـن سـورة النمـل و القصـص و الإسـراء و يـونس و هـود و يوسـف و خصوصـاً مـا جـاء فـي بدايـة سـورة الحجـر : " **ربمـا يـود الـذين كفـروا لـو كـانوا مسـلمين ذرهـم يـأكلوا ويتمتعـوا و يلههـم الأمـل فسـوف يعلمـون و مـا أهلكنـا مـن قريـة الا ولهـا كتـاب معلـوم مـا تسـبق مـن امـة اجلهـا و مـا يسـتأخرون و قـالوا يـا أيهـا الـذي نـزل عليـه الـذكر انـك لمجنـون لـو مـا تأتينـا بالملائكـة ان كنـت مـن الصـادقين** "و مـن سـياق الآيـة الكريمـة لا يمكـن القبـول بسـرية الـدعوة فالآيـة تشـتمل علـى اسـتهزاء المشـركين بـالنبي (صـلى اللـه عليـه و الـه وسـلم) و مـا انـزل عليـه مـن القـران الكريم ، ففيما كان استهزائهم أن كانوا يجهلون أمر الدعوة ؟!!

و مـن ذهـب الـى الاعتقـاد بوجـود دعـوة سـرية اعتمـاداً علـى مـا صـرحت بـه الآيـة الكريمـة : " **فأصـدع بمـا تـؤمر و اعـرض عـن المشـركين أنـا كفينـاك المسـتهزئين** "باعتبـار أن فعـل الأمـر " أصـدع " فيـه دلالـه علـى وجـود مرحلـة سـرية سـبقت هـذا الفعـل تلاهـا الإعـلان و الجهـر بالـدعوة فهـو يجانـب

الحقيقة في اعتقاده ذلك لأن الفعل اصدع لا تعني الإعلان بل التفريق كما أن فعل الأمر الإلهي " اعرض " فيه دلالة على نهي النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عن فعل كان يقوم به و هو مجادلة المشركين المستهزئين به ، و لو فرضنا جدلاً أن الدعوة كانت سراً فما سبب الاستهزاء أذن **!!؟**

كذلك الاستدلال بقوله تعالى : " **و انذر عشيرتك الأقربين** " وان كان في ظاهره خصوصية الدعوة لأهل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ألا أن وجود أبو لهب عم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بين أفراد عشيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) و المعروف بشدة عدائه للإسلام افقدها تلك الخصوصية فلا يعقل من أبي لهب أن يكتم أمر الدعوة بعد إطلاعه عليها و نزول ما ذمه هو و زوجته من القرآن الكريم في قوله تعالى : " **تبت يدا أبي لهب و تب ما أغنى عنه ماله و ما كسب سيصلى نارا ذات لهب و امرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد** ". أذن لم تكن هناك دعوة لآحاد الناس خفية و سراً لمن يرجو إيمانهم فحسب بل أرسل النبي محمد (صلى الله عليه و اله وسلم) ليكون داعياً و رحمة للناس أجمعين ..

ثالثهما : أصل النبوة إعلانها .

اللطف الإلهي اقتضى أن يبعث رب العالمين الرسل و الأنبياء مبشرين و منذرين فيتم بذلك الحجة على البشرية و لا يتم ذلك بالسرية والكتمان ألا ما استوجبته الضرورة و نحن نعلم أن القائلين بسرية الدعوة احتجوا بضعف المسلمين و عجزهم عن مواجهة المشركين الذين عارضوا الدعوة و حاربوها والسؤال هنا هو كيف جزم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بموقف المشركين المعادي للإسلام وهو لم يطلعهم بعد على مبادئه و تعاليمه **؟!**

وان ما نزل من القران في بداية الدعوة لم يكن فيه ما يوجب العداوة و البغضاء فهو لم يكن سوى تعريف بعقيدة المسلمين و احتجاج على ما يدين به المشركين و عبادتهم لأحجار لا تضر ولا تنفع و لم تكن هذه نظرة المسلمين فحسب بل شاركهم فيها من سبقهم من الديانات السماوية الأخرى كاليهود و النصارى و الاحناف ولم يكن للمشركين تجاههم رغم معتقدهم المخالف عداوة أو قتال بل العكس من ذلك كان مشركي مكة يكنون لهم الاحترام و التقدير و كانوا يرجعون إليهم في كثير من أمور حياتهم لذا فأن كل ما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خلال هذه المرحلة هو تصديق لما جاء به الأنبياء من قبله و هو تعريف بعقيدة التوحيد و هذا ما لا يقتضي الكتمان خوفاً او حرصاً على سلامة الدعوة ، فلا مبرر للتخوف من علم مشركي مكة

بالدعوة و هذا فعلا ما حصل فقد اتسم موقفهم باللامبالاة أول مرة ثم تحولت ردة فعلهم الى الاستهزاء و التشكيك فهل يستوجب ذلك السرية والكتمان !!!

رابعهما : وصف النبي (ص واله) بالضعف والخوف من مواجهة المشركين :

وفق ما جاء به المؤرخين و المحدثين من روايات تقول : ان النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) كتم أمر الدعوة ثلاث سنين أو يزيد لضعف المسلمين وقلة في عددهم و عدتهم ، و مواجهتهم للمشركين في هذه المرحلة تعني حتمية القضاء على الدعوة و إفشالها لذلك كان التزام السرية أولى وان سلمنا بصواب ذلك و قلنا ان للضرورة أحكامها ، فأن الإعلان عن الدعوة يقتضي تغير الحال أما لضعف أصاب المشركين أو لقوة حازها المسلمون ولم نجد ما يثبت ذلك فالحال ذات الحال و ميزان القوى لم يزل راجح الكفة لصالح المشركين فما الذي دعا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أن يجهر بالدعوة على الملأ دون أن يخشى أو يخاف كما كان يفعل في مرحلة الدعوة السرية ؟

خامساً : حفظ وجه ماء بعض الصحابة :

لم نجد جواباً لسؤالنا عن سرية الدعوة سوى عند الأقلام المأجورة التي أبدعت في رسم الهالات المنيرة على شخوص أبطالها الورقيين فجعلوا يمجدونهم و يقدسونهم حتى وان كان ذلك على حساب المساس بشخص نبيهم (صلى الله عليه واله وسلم) و مواقفه الشجاعة الشريفة فصوروه ضعيفاً يستنصر الكفار و يستقوي بهم ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى أن يقف مصير إعلان الدعوة الى الله جهراً على إسلام رجلاً من المشركين تقلد سيفه قاصداً قتل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) .

سادساً : إسلام بعض الافراد القريبين من مكة :

وأن كان أمر الدعوة مخفياً عن أهل مكة كيف يمكننا ان نفسر قدوم الصحابي أبي ذر الغفاري من خارج مكة ليعلن إسلامه بين يدي النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فيكون بذلك ضمن أوائل المسلمين !! مما يدلل على شيوع الخبر و ذياعه خارج مكة فضلاً عن داخلها.

سابعاً : تعرض النبي (ص واله) المسلمون الاوائل في هذه الفترة للاذى والضرب من قبل المشركين ، فإذا كان الامر سراً من اين علم هؤلاء ؟ .

و ختاما يمكننا القول : ان الاعتقاد بسرية الدعوة يمس بشخص النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) و يسيئ اليه فيصوره هو و من معه من المسلمين الاوائل خائفين مذعورين ترهقهم ذلة فيخفون اسلامهم متوسلين الله ان يعزهم بالمشركين .

الخلاصة :

١- ان القول بسرية الدعوة في مراحلها الاولى يتعارض مع ما جاء به القران الكريم حيث لم نجد اية تدعو النبي (ص) لالتزام السرية و الكتمان كما لم نجد ذلك في سيرة من سبقه من الانبياء و الرسل بل العكس وجدنا ما يؤكد على الرسل و الانبياء المجاهرة و مواجهة الطغاة .

٢- ان اهل مكة والمدن المجاورة كانوا على علم بنبوة محمد (ص) قبل بعثته وهذا ما شهدت به اليهود و النصارى و الكرامات التي خص بها الله نبيه الكريم و كذلك من خلال سيرته العطرة واعتزاله الناس و التعبد في غار حراء

٤- كانت الدعوة السرية وسيلة لحفظ ماء وجه بعض الصحابة ممن تأخر التحاقهم بركب الاسلام وكانت لهم مواقف مؤذية للرسول (ص) وصحبه الكرام فالقول بالسرية محاولة لتبرير تأخر اسلام بعضهم .

ثانياً : موقف المشركين من الدعوة الاسلامية :

نزل خبر بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) كالصاعقة على زعماء قريش ! انتشر في مكة خبر أن محمداً (صلى الله عليه واله) أعلن نبوته ، فكان كالصاعقة على زعماء قريش لأن النبي (ص واله) برأيهم جاء ليقود حركة تهدد رئاستهم على قريش والعرب ، واعتبروا حركته انقلاب على صيغة التوافق في تقسيم مناصب الشرف ، وهي : رئاسة قريش ، ورايتها ، وسقاية الحجاج ورفادتهم ! وتركزت أنظارهم على **أبي طالب شيخ بني هاشم** ، لمعرفة موقفه ، وهو صاحب شخصية قوية ، وكان يومها في نحو الخامسة والسبعين ، لأنه توفي قبيل الهجرة وعمره سبع وثمانون .

وزاد من تخوفهم حينما سمعوا من اليهود ومن عبد المطلب أن نبياً سيبعث من ذريته ، وكان يتوقع أن يكون حفيده محمداً ، وأوصى به إلى أبي طالب وشدد عليه الوصية بحفظه وإكرامه ، فرباه أبو طالب وآثره على أولاده ؟ وقد اشتهر حب أبي طالب له ، وتغنى في شعره بفضله وآياته .

ويبدو أن الامام (عليه السلام) أخبر أباه بأن الملاك نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فذهب أبو طالب إلى بيت النبي وسأله : **« يا ابن أخي ، أاللهُ أرسلك ؟ قال : نعم . قال : فأرني آية . قال : أدع لي تلك الشجرة ، فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت . فقال أبو طالب : أشهد أنك صادق ، يا علي صِلْ جناح ابن عمك ».**

وحرص زعماء قريش على معرفة حقيقة موقف أبي طالب ، وتخوفوا لما بلغهم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمره ربه أن يدعو عشيرته الأقربين ، وكان ذلك نبأ عظيماً على زعماء قريش كما وصفه الله تعالى في سورة النبأ ، حيث اعتبروا أن بني هاشم أعلنوا مشروعهم في النبوة ، وقرروا حماية محمد ، وقد اتخذ وزيراً ووصياً له منهم .

أساليب المشركين في محاربة الدعوة

أجمع المشركون على محاربة الدعوة التي عرَّت واقعهم الجاهلي ، وعابت آلهتهم وسفهت أحلامهم ، أي آراءهم وأفكارهم ، وتصوراتهم عن الله والحياة والإنسان والكون ، فاتخذوا العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها ، أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها ، وأهم هذه الوسائل :

١- اللامبالاة : في بداية الدعوة اتخذ المشركين موقف اللامبلاة ، أي ان الاسلام كباقي الشرائع الاخرى الموجودة في شبه الجزيرة العربية ، اي انهم لم يهتموا بقضية التوحيد لأن عبادتهم الوثنيه التي كانوا

يعتقدون بانها وسيط تقربهم الى الله زلفى وهذا الاعتقاد جاؤوا به من آبائهم هذا ما وجدنا عليه آبائنا وان اليهود والمسيحيين كانوا يناقشون النبي محمد(ص) في عقيدته لكن المشركين اتخذوا موقف اللامبالاة وعدم الاهتمام اي ان الاسلام كباقي الشرائع الاخرى الموجوده في مكة.

٢- الاستهزاء: بعد ذلك اتخذوا موقف الاستهزاء بالنبي(صلى لله عليه واله وسلم) وبدأوا يستهزئون به ويسخرون منه وبدينه الجديد .

٣- الاساءة اللفظيه: اخذو يسيئون للنبي (صلى الله عليه واله) من خلال شتمه بصفات غير موجوده فيه وهي(شاعر، مجنون، ساحر ، كذاب) .

٤- الاساءة الفعلية: وهي ايذاء كل من دخل للاسلام مثل رميهم بالحجارة وقطع الطريق عليهم وغير ذلك ، والذي يمنعهم من ايذاء النبي محمد (صلى الله عليه واله) هي الحصانة التي كانت تتمتع بها قبيلة بني هاشم حيث كانت قبيلة بني هاشم قويه، لكن بقية المسلمين وخصوصا من العبيد لم يكن هناك من يمنع عنهم الاذى مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر وغيرهم من العبيد والقبائل المستضعفه وهؤلاء لم يكونوا من قبيلة بني هاشم التي لها مكانه وبالتالي لا يستطيع احد مواجهتهم .

ان النبي محمد (صلى الله عليه واله) اخذ ينتقص من آلهتهم وأخذ يدعوهم الى نبذ عبادتهم وهذا ما جعلهم يشعرون بخطر هذه الدعوه حيث كانوا يعتقدون بأن هذه الالهة لا تضر ولا تنفع لكن هم كانوا على يقين ان ارتباط مصالحهم الاقتصاديه والاجتماعيه مرتبطة بهذه الالهة وذلك من خلال موسم الحج وان هذه الاصنام التي يعبدونها اهل مكه كانت تعزز من مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية وتجعل لهم مكانه بين القبائل الاخرى حيث كانت تفد عليهم القبائل في موسم الحج من اجل هذه الاصنام فكان لكل قبيله صنم موجود في الكعبه يحجون اليه سنويا وهنا سيحدث عملية تبادل تجاري ويعطي مكانة اجتماعيه لهم في مكه بين العرب.

٥- التخطيط لقتل صاحب الرسالة : لقد قرر زعماء قريش بالإجماع قتل محمد (ص واله) لأن عمله خيانة عظمى ، فيجب على عمه أن يسلمه إليهم ليقتلوه ! ولم يتضمن قرارهم أن يسألوه عن دليله أو معجزته ! فلا يهمهم أن يكون عنده ذلك أو لا يكون ! لأن مجرد ادعائه النبوة مؤامرة على بقية القبائل .

فذهبوا إلى أبي طالب وطلبوا منه تسليم ابن أخيه لهم ليقتلوه ! فغضب أبو طالب وأعلن حمايته له وحذرهم إن مَسُّوا منه شعرةً ! فسكتوا لأنهم يعرفون شجاعة بني هاشم ، وأنهم لايُسَلِّمونهم محمداً إلا

بحرب ! لكنهم لم يتراجعوا فقاموا بشـــن حملات افتراء وســـخرية من النبي (صـــلى الله عليه وآله) وقرآنه ووصـيه الذي اختاره ، فكانوا يقولون : « **هذا صـفي محمد من بين أهله ، ويتغامزون بعلي (عليه السلام)** » ، وأخذوا يعملون لاغتياله (صـلى الله عليه وآله) ويرصـدون من يستجيب لدعوته ! وفي المقابل قام أبو طالب « رحمه الله » بتوحيد بني هاشـــم لحمايته (صـــلى الله عليه وآله) ، وجعل حول النبي (صـلى الله عليه وآله) ثلاث حلقات أمنية كما يدل حديث إسلام أبي ذر « رحمه الله » ، فعندما طلب اللقاء بالنبي (صـــلى الله عليه وآله) حقق معه أبو طالب (عليه الســـلام) وواعده اليوم الثاني ، وفي اليوم الثاني أخذه إلى حمزة ، فحقق معه وسلمه إلى جعفر « عليهما السلام » ، فحقق معه جعفر وسـلمه إلى علي (عليه السـلام) ، فحقق معه ، ثم أدخله على النبي (صـلى الله عليه وآله).

٦- وبعد فشل محاولات المشركين عملوا على **مقاطعة بني هاشم** واجتمع كبار المشركين في مكة واتفقوا على ان يقاطعوا بني هاشم اقتصادياً واجتماعياً وكان بني هاشم يسكنون في (شعب) اسوة بباقي اهل مكة أي كانت القبائل تسـكن (الشـعاب) : أي الاودية التي تقع بين الجبال ، وهي مدينه في وادي غير ذي زرع ، وكان ذلك في سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات.

هذه المقاطعه حصـرت بني هاشـم في شـعبهم وتمت مقاطعتهم فكانوا لا يشـترون منهم ولا يبيعونهم ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم ، ويمكن تلخيص الاسباب الرئيسية للمقاطعة : **(انتشـار الاسـلام بين الافراد والقبائل ، اسـتقرار المهاجرين بالحبشـة وتمكنهم من ممارسـة عقيدتهم ونشـر فكرهم ، ودخول شـخصيات مهمة في الاسـلام ، كل هذه الاسباب افقدت قريشاً صوابها لذلك قرروا مقاطعة النبي محمد (صلى الله عليه واله) .**

وقد تصـدّى النبي (صـلّى اللّه عليه واله) لكل هذه الأسـاليب بما يحقق للرسـالة أهدافها مسـدّدا بالوحي الذي كان يرعى حركة الرسول (صلّى اللّه عليه واله) خير رعاية.

<u>ان هذه المقاطعه كانت فاشلة في النهاية وذلك لعدة اسباب : (مهم)</u>

١- كانت مكه عبارة عن مجتمع قبلي يربط افراده صـلة الدم وصـلة الرحم وبالتالي عندما يسـمعون اطفالاً يتضرعون جوعا فأن اهل مكه تأخذهم الرحمه بأقاربهم وهذا احد اسباب فشل المقاطعه.

٢- وجود نظام يســـود عند العرب وهو الاشـــهر الحرم التي لا يجوز فيها القتال فكان المســـلمون المهاجرون في شـعب ابي طالب يسـتغلون هذه الاشـهر لنشـر الدعوه وإجراء مبايعات ومبادلات

مع غيرهم من القبائل فهذه الاشهر اسهمت في اضعاف المقاطعه حيث كانت تمد المسلمين بنوع من الطعام والدعم المعنوي.

٣- كانت هناك خروقات للمقاطعه داخليه وخارجيه بالتواصـــل مع الاقارب حيث كانت هناك تواصلان سرية وهذا التواصل اعطى قوة للمسلمين، وايضا كانت تتم عمليات تبادل تجاري سرا وهذه الخروقات ادت الى زعزعه جبهة المشـركين من جهة وتماسـك المسـلمين من جهة اخرى وهذه الخروقات ادت الى انهيار المقاطعه وهزيمة المشركين.

٤- المعجزة الالهية الي حدثت حينما اكلت الارضـــه بنود الاتفاقيه المعلقة في جوف الكعبه، فكانت هذه نهاية حازمه للمقاطعه التي فرضها المشركين على المسلمين .

<u>س / ماهو دور ابو طالب في الحفاظ على الرسول (ص واله) ودعوته في حصار المقاطعة :</u>

أمر أبو طالب بني هاشـم أن يدخلوا برسـول الله « صـلّى الله عليه وآله » الشـعب – الذي عرف بشعب أبي طالب – ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف ، باستثناء أبي لهب ، واستمروا فيه إلى السنة العاشرة ، ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام ، وكانوا ينفقون من أموال خديجة ، وأبي طالب ، حتى نفدت ، حتى اضـطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشـجر، وكان صِـبْيَتُهُم يتضـاغون جوعاً ، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب ، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم ، فبعضـهم يفرح ، وبعضـهم لا ، ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب ، وموسم الحج في ذي الحجة ، فكانوا يشترون حينئذٍ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً ، حيث إن المشركين كانوا يلتقون بكل من يقدم مكة أولاً ، ويطمعونه بمبالغ خيالية ثمناً لســـلعته ، شـــرط أن لا يبيعها للمسلمين ، وكان أبو لهب هو رائدهم في ذلك ؛ فكان يوصـي التجار بالمغالاة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئاً ، ويضمن لهم ، ويعوضـهم من ماله كل زيادة تبذل لهم ، بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئاً بنهب أمواله ، ويحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم .

وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً ، وكان الامام علي أمير المؤمنين « عليه السلام » أثناءها يأتيهم بالطعام ســـراً من مكة ، من حيث يمكن ، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه ،وكان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيراً ما يخاف على النبي « صلّى الله عليه وآله » البيات ؛ فإذا أخذ الناس

مضـاجعهم ، اضـطجع النبي « صـلّى الله عليه وآله » على فراشـه ، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب ، فإذا نام الناس جاء وأقامه ، وأضجع ابنه علياً مكانه .

وكان أبو طالب شيخ الأبطح « عليه السلام » هو الذي حامى وناصر النبي « صلّى الله عليه وآله » ، وحدب عليه منذ طفولته ، وفي هذه الفترة ، فقد نصره بيده ولسانه ، وواجه المصاعب الكبيرة ، والمشاق العظيمة ، في سبيل الدفاع عنه ، والذود عن دينه ورسالته ، وإعطائها الفرصة للتوسع والانتشار ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وهو أيضاً الذي كان يقدمه على أولاده جميعاً ، وقد أرجعه بنفسه من بصرى إلى مكة عندما حذره بحيرا من اليهود عليه « صلّى الله عليه وآله » ، نعم ، وهو الذي رضي بعداء قريش له ، وبمعاناة الجوع والفقر ، والنبذ الاجتماعي ، ورأى الأطفال يتضاغون جوعاً ، حتى اقتاتوا ورق الشجر ، بل لقد عبر صراحة :

عن أنه على استعداد لأن يخوض حرباً طاحنة ، تأكل الأخضر واليابس ، ولا يسلِّم محمداً لهم ، ولا يمنعه من الدعوة إلى الله ، بل هو لا يطلب منه ذلك على الأقل ، وهو الذي يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش وفراعنتها ، حينما جاءه النبي « صلّى الله عليه وآله » – وقد ألقت عليه قريش سلا ناقة – فأخذ « رحمه الله » السيف ، وأمر حمزة بأن يأخذ السلا ، وتوجه إلى القوم ، فلما رأوه مقبلاً عرفوا الشر في وجهه ، ثم أمر حمزة أن يلطخ سبالهم ، واحداً واحداً ، ففعل .

وفي الشعب كان يحرس النبي « صلّى الله عليه وآله » بنفسه وينقله من مكان إلى آخر ، ويجعل ولده علياً « عليه السلام » في موضع النبي « صلّى الله عليه وآله » ، حتى إذا كان أمر ، أصيب ولده دونه وكان يدفع قريشاً عنه باللين تارة ، وبالشدة أخرى ، وينظم الشعر السياسي ، ليثير العواطف ، ويدفع النوازل ، ويهيئ الأجواء لإعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، وحماية أتباعه .وقد افتقد النبي « صلّى الله عليه وآله » مرة « فلم يجده ؛ فجمع الهاشميين ، وسلَّحهم ، وأراد أن يجعل كل واحد منهم إلى جانب عظيم من عظماء قريش ليفتك به ، لو ثبت أن محمداً أصابه شر ، كل ذلك في سبيل الدفاع عن الرسول الأعظم « صلّى الله عليه وآله » ونصر دينه ، وإعلاء كلمته ، ورفعة شانه .

مما تقدم يظهر أن أبا طالب ، شيخ الأبطح ، كان قد :

١ – تخلى حتى عن مكانته في قومه ، إلى بديل آخر هو في الاتجاه المضاد تماماً ، وهو العداء لهم ، وسائر أهل بلده ، بل والدنيا بأسرها ، بل هو يتحمل النفي والنبذ الاجتماعي له ، ولكل من يلوذ به ، ولا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها ، ولا تلين قناته ، ولا تصدع صفاته .

٢ – رضي بتحمل الجوع والفقر والمحاصرة الاقتصادية ، بل هو يبذل أمواله وكل ما لديه في سبيل هذا الدين .

٣ – وطَّن نفسه على خوض حرب طاحنة ، ربما تنتهي بإبادة الهاشميين وأعدائهم ، إذا لزم الأمر .

٤ – ضحى حتى بولده الأصغر سناً عليٌّ « عليه السلام » ويتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر ، المهاجر إلى الحبشة .

٥ – جاهد بيده ولسانه ، واستخدم كل مالديه من إمكانات مادية ومعنوية ، ولا يبالي بكافة الصعاب والمشاق ، وهو يدافع عن هذا الدين ، ويحوطه بالرعاية والعناية ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

وفي السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم ، أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، ففقد النبي « صلّى الله عليه وآله » بفقده نصيراً قوياً ، وعزيزاً وفياً ، كان هو الحامي له ، والدافع عنه ، وعن دينه ، ورسالته ، كما أشرنا إليه .

ثم توفيت بعده بمدة وجيزة – قيل : بثلاثة أيام ، وقيل بعده بحوالي شهر خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها ، وسمي ذلك العام بعام الحزن .